كما فتح مجالا واسعًا للحديث عن (المحدث) و (القديم) .

وكان الصراعُ قد اشتد بين طائفة من الشعراء على رأسهم (جرير والفرزدق) فانضافت قضية (السرقات) إلى مجال النقد ، وكل هذا أوجد انقساماً هائلاً بين النقاد ، فصاروا بين متعصِّب للقديم ، ومتفتِّح للجديد ، فأصبحت الحياة الأدبية والنقدية تموج بتيارات متتالية من الأفكار النقدية ، مما هيأ لحركة التأليف أن تبرزَ إلى مجال الوجود .

ولا يمكن أن نغفل أن هذه الحركة قامت – في أساسها – حول القرآن والدراسات التي اتصلت به في اللفظ ، أو في المعنى ، وكان التعبيرُ القرآني بما حواه من إمكانات أسلوبية مناط هذه الدراسة ، كما أصبحت تراكيبُه التي ابتعدت عن مستوى المواضَعَة اللُّغوية أهم ما يمكن أن تتناوله حركةُ الدرس القديم ، وليست محاولة الفراء في « مجاز القرآن » إلا صورة لهذه الأهمية .

ومن طبيعة الأمور أن يحدث انفصالٌ تدريجي في الارتباط بين الدرس القديم والصياغة القرآنية ليوجِّه اهتمامه إلى الصياغة الأدبية عمومًا ، وتكون هناك مؤلفات من طبيعتها التركيز على الأدب وقياسه بمقاييس الفن وحده .

وبانطلاق النقد بعيدًا عن النص القرآني اتيح للفكر الوافد أن يؤثِّر تأثيراً بالغًا ، وكان الجاحظ نموذجًا لهذا التأثير ، وكانت صحيفة بشر بن المعتمِر صورة مميَّزة له ، حيث دارت في مجملها حول مفاهيم فنية ودلالية تتصل